تحقيق

تريز الخوري
khourytherese@hotmail.com

النظام الصحّي تحت النار... يصارع البقاء بين الحرب والإنهيار معركة الإنقاذ مستمرة

عقب العدوان الاسرائيلي المدمر الذي شهده لبنان، تحولت مشاهد المستشفيات المتضررة الى رمز لأزمة واسعة طالت مختلف الخدمات الاساسية في البلاد. الحاجات التي فرضتها المرحلة كبيرة جدا، الا ان المطلوب اليوم هو استعادة الحد الادنى من المستلزمات الأساسية، واعادة بناء منظومات قادرة على الصمود في مواجهة الصعوبات الآتية

برزت في الآونة الأخيرة، آثار واسعة النطاق طالت القطاع الصحي الذي أصبح الاكثر تضررا، اذ بات امام ازمة مزدوجة جمعت بين الخسائر المباشرة والانهيار الاقتصادي المستمر منذ عام 2019. ووفق تقرير التقييم السريع للحاجات الصادر عن البنك الدولي، فقد بلغت النتائج 208 ملايين دولار، بسبب استهداف بعض المستشفيات، من بينها ما دمر بشكل كامل، فيما تعرضت 39 منها لخسائر جزئية، مما انعكس سلبا على القدرة الاستيعابية للقطاع. لذا باتت هناك حاجة الى نحو 123 مليون دولار لترميم المرافق بشكل عاجل، تأمين الادوية والمتطلبات، ودعم الطواقم الصحية لضمان استمرار العمل. علما ان التركيز على اعادة العجلة في هذا القطاع، يتطلب اطلاق برامج تدريب وتأهيل للكوادر، الى جانب تعزيز البنى التحتية وتوسيع نطاق الخدمات الاساسية. وهنا لا بد من التأكيد على أن ثمة تفاوتا واضحا في حجم النتائج السلبية بين المناطق حيث سجلت محافظة النبطية النسبة الاعلى وقد بلغت 85 مليون دولار، يليها الجنوب بـ 39 مليونا، مما يعكس مدى اتساع رقعة التأثير الجغرافي للهجمات على مختلف الاماكن، لذلك فان عملية التعافي تتطلب خطة وطنية شاملة.

"الامن العام" حاورت وزير الصحة الدكتور ركان ناصر الدين ونقيب اصحاب المستشفيات الخاصة البروفسور بيار يارد.

ناصر الدين: جاهزون لأي طارئ

■ كيف تقيمون اوضاع المستشفيات الحكومية في ظل الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة؟

□ نحرص في وزارة الصحة العامة على اجراء زيارات ميدانية دورية الى المؤسسات الاستشفائية للاطلاع على واقعها واحتياجاتها الفعلية، خصوصا في هذه الظروف الاستثنائية التي فرضتها الحرب. ما يمكن قوله، ان هذه الجولات تأتي ضمن إطار خارطة طريق متكاملة وضعناها لمواكبة تداعيات الاوضاع الامنية، حيث نعمل على تقييم الاستعداد الطبي واللوجستي لكل منها، والتأكد من قدرته على الاستمرار في تقديم الخدمات الصحية من دون انقطاع. كما نتابع عن كثب توفر الادوية، وتأهب الاقسام والعناية الفائقة، اضافة الى القدرة الاستيعابية في حال ارتفاع اعداد الاصابات. كذلك نولي اهمية خاصة لتعزيز التنسيق بين الجميع ومراكز الرعاية الاولية، بما يضمن توزيع الحالات بشكل فعال وتخفيف الضغط في الاماكن الاكثر ازدحاما. وعلى الرغم من التحديات الكبيرة، سواء على صعيد الامكانات المالية او الموارد البشرية، فإننا لا نزال نؤدي دورنا بفضل الجهود الكبيرة التي يبذلها العاملون في مختلف الميادين، الى جانب الدعم الذي نوفره مع الشركاء الدوليين. نحن نعمل باستمرار على تطوير البدائل لمواجهة اي جديد، بما يضمن استمرارية تقديم ما يلزم للمواطنين والنازحين، لا سيما في حالات الاصابات الناتجة من اشتداد المعارك.

■ ما هي الخطة التي وضعت لمواكبة المستجدات، وما هي أبرز اهدافها وآليات تنفيذها لضمان تقديم الافضل خصوصا في مراكز النزوح؟

□ اود ان اوضح ان ما نقوم به لا يقتصر على الاستجابة الانية، بل ينفذ ادارة استباقية عبر توزيع الادوار بين مختلف المرافق ويرفع مستوى الجهوزية. في هذا السياق، نحن نعمل على تعزيز قدرات تأمين سلاسل الامداد الطبي لضمان عدم انقطاع المستلزمات الحيوية، خاصة في المناطق الاكثر عرضة للضغط. كما اشير الى اهمية التنظيم الكامل بيننا والمستشفيات كافة، اكانت رسمية ام خاصة، بما يسمح بتوجيه المرضى وفق درجة خطورة حالاتهم، اضافة الى تفعيل غرف العمليات المركزية لمتابعة الاوضاع بشكل يومي واتخاذ القرارات السريعة عند الضرورة. يشمل تصورنا ايضا دعم الكادر التمريضي من خلال توفير كل ما يلزم، الى جانب التنسيق مع الجهات المحلية والدولية لتأمين الدعم المطلوب. اما في ما يتعلق بمراكز النزوح، فتركز على تزويدها بما هو متوافر، اضافة الى وجود فرق الإسعاف لضمان الحد من تفاقم الامور، بما يعزز القدرة على درء التحديات المقبلة.

■ كيف تحدد جهوزيتكم الاستشفائية، وما هو الدور المحوري في الاستجابة الطبية الطارئة؟

□ تبرز اهمية التخصص في الاصابات والحروق، كونها تتعامل بشكل وثيق مع الحالات البالغة الاهمية والمعقدة، مما يجعلها محورا اساسيا في منظومة الامتثال السريع على مستوى لبنان. كذلك توجد لدينا مراكز تخصصية اي (Trauma Center)، وتمتلك بنى تحتية متقدمة للأوضاع الحرجة، واعطي مثلا على ذلك غرف العمليات الحديثة، اقسام العناية الفائقة، ووحدات معالجة الحروق التي تتطلب تجهيزات وخبرات دقيقة. لقد ساهمت عمليات التطوير التي خضعت لها في رفع قدرتها على استيعاب اعداد كبيرة من المصابين، حيث تزداد الحاجة الى تدخلات عاجلة. كما تلعب دورا محوريا في تخفيف الضغط عن المستشفيات الخاصة في بعض المناطق من خلال استقبال الجرحى الاكثر خطورة، وتحويل الاقل تعقيدا الى مراكز اخرى ضمن شبكة التنسيق الخاصة. الى جانب ذلك، تشكل المرافق العلاجية نقطة ارتكاز لعمل الاسعاف، حيث يتم التعاون معها بشكل مباشر لنقل الحالات المستعجلة، مما يسرع الامور ويزيد فرص انقاذ المرضى. في هذا الاطار، نحرص بشكل لافت على الدعم بشكل مستمر، سواء عبر تزويدها بالمعدات الحديثة او تقديم التمويل، لضمان الاداء الحيوي،

وزير الصحة الدكتور ركان ناصر الدين.

> **نتابع وضع المستشفيات ميدانيا بشكل دوري**

خاصة في ظل الوضع الاستثنائي الذي يحاصر البلد من جوانبه كافة.

■ كيف تصف الواقع الصحي في الجنوب بشكل خاص، وما هي أبرز المخاطر التي تواجهكم؟

□ اعتبر انه لا يزال ممسوكا رغم حجم الضغوط الاستثنائية الناتجة من الهجمات المستمرة. واوضح ان هذا الترابط يعود الى وجود نوع من الادارة بين مختلف مكونات المنظومة الصحية، حيث يجري توزيع الادوار بين الجميع بما يسمح باستيعاب الاعداد المتزايدة، ومنع الانهيار. كما اشير ايضا الى ان البلديات والجهات المحلية تلعب دورا مكملا في دعمنا، سواء على صعيد التنظيم او تأمين كل ما هو مطلوب. في المقابل، الفت الى ان هذا التعاون الوطيد لا يعني غياب الصعوبات، فيما المشاكل تتراكم على مستويات عدة. ما اريد التأكيد عليه هو اننا نعاني من محدودية الموارد وارتفاع كلفة التشغيل، خصوصا مع زيادة اسعار المستلزمات الطبية وصعوبة تأمينها بشكل دائم. اما على الصعيد البشري، فهناك ضغط كبير نتيجة عدد الضحايا، الى جانب النقص الحاصل بسبب هجرة بعض الاطباء، مما يفرض اعباء اضافية على الفرق الموجودة. كما اشير ايضا الى ان اعداد المهجرين في بيروت ومحيطها يؤدي الى تضاعف الطلب على الخدمات، ليس في الحالات الاستثنائية فقط، بل ايضا في الرعاية اليومية والامراض المزمنة، مما يوسع نطاق الضغط على المراكز الصحية والمستشفيات. يضاف الى ذلك، الحاجة المستمرة لتأمين المطلوب بشكل منتظم، خاصة في مراكز الايواء التي هي في حاجة الى متابعة دائمة. اشدد على ان قدرتنا على الصمود ترتبط الى حد كبير بالاستثمارات التي انجزت في السنوات الماضية، بدعم من جهات معروفة كالبنك الدولي والاسلامي، اضافة الى مساهماتنا في تحديث البنى التحتية، وتحسين القدرة التشغيلية، مما يمكننا من التعامل مع الضغوط المتلاحقة، بدءا من الازمة التي طالت البلد وصولا الى الظروف الامنية الحالية. لا بد لي ان أوضح أيضا، بأن الحفاظ على هذا المستوى يفرض علينا الاستمرار في الدعم وتطوير التدابير القادرة على التكيف مع اي ظروف جديدة، لبقاء جميع الخدمات متاحة للمواطنين والنازحين من قراهم على حد سواء.

■ كيف تواصلون المهام وما هي رسالتكم الى الطواقم الطبية؟

□ المؤسسات الصحية ما زالت تعمل وتؤدي دورها الاساسي في استقبال الجميع، على الرغم من كل ما تعرضت له من مشاكل وظروف مستعصية. فعلى مستوى الخدمات، هناك صعوبة كبيرة احيانا في استيراد بعض الادوية، لكن الامور ما زالت ممسوكة الى حد كبير، ونحن قادرون على مواصلة عملنا. في هذا السياق، اتوجه للكوادر ولكل العاملين في هذا المجال، واثمن ما يبذلون من جهود، مؤكدا ان تضافر التعاون الوثيق مع الوزارة يساهم في الحفاظ على الحد الادنى من ◄

◄ الاستقرار الصحي رغم الظروف الاستثنائية. كما اتوجه اليهم قائلا انكم في خط الدفاع الاول عن صحة اللبنانيين، وانتم تواصلون اداء واجبكم المهني والانساني بروح عالية من المسؤولية، مما يساهم في انقاذ العديد من الناس وضمان تقديم الافضل من دون انقطاع على الرغم من الامكانات الضئيلة. واشدد على ان ما تقومون به يشكل ركيزة اساسية في الوقوف بثبات، وان تضحياتكم محل تقدير كبير على المستويين الرسمي والشعبي. كما أؤكد وقوفنا الى جانبكم لاستمرار تأمين ما يلزم قدر المستطاع.

يارد: قادرون على الصمود اربعة اشهر

■ كيف يتم التعامل مع الحالات الطارئة في المستشفيات الخاصة؟

□ اننا نعمل وفق آلية تنظيم دقيقة تعتمد على الفرز الطبي السريع وتحديد درجة خطورة كل حالة، فالحالات الحرجة جدا التي تحتاج الى تدخلات متقدمة او تجهيزات خاصة يتم تحويلها مباشرة الى بيروت، حيث تتوافر امكانات اهم للعلاج. اما الحالات المتوسطة، فيتم استقبالها داخل المستشفيات المحلية القادرة على تقديم الرعاية الاولية اللازمة لها. هذا النظام يهدف الى تحقيق توازن في توزيع الضغط، وضمان عدم حصول ازدحام في اماكن معينة، اضافة الى انقاذ أكبر عدد ممكن من الجرحى جراء الغارات المتنقلة. كما يتم التعاون المستمر بيننا لتأمين عمليات النقل والاحالة بشكل منظم وسريع بحسب الحاجة.

■ ما هو عدد المرافق الصحية التي توقفت عن نشاطها بسبب الاعمال الحربية، وما هو انعكاس ذلك عليكم؟

□ ارغمت التوترات والظروف الامنية الصعبة البعض على الاقفال الكامل او الجزئي، اضافة الى توقف عدد كبير في مناطق الضاحية الجنوبية حيث تم اغلاق نحو ثلاث مؤسسات استشفائية. هذا الامر انعكس على القطاع الصحي برمته، إذ ادى الى زيادة الاكتظاظ في بعض المؤسسات الاستشفائية التي بقيت تعمل وخصوصا مع انتقال مئات المرضى اليها، ومن بينهم الذين يتلقون علاج غسيل الكلى ويحتاجون الى متابعة دورية لا يمكن تأجيلها. لقد تم توزيع هؤلاء لضمان استمرار الجلسات وعدم انقطاعهم عن المعالجة اللازمة، مما شكل تحديا كبيرا، لوجستيا وطبيا، على المنظومة الصحية.

نقيب اصحاب المستشفيات الخاصة البروفسور بيار يارد.

> **نعمل بطريقة الفرز الطبي لتحديد خطورة الحالة**

■ كيف تعاملتم كقطاع خاص مع الضربات التي هزت بيروت والى اي مدى كان مستوى التجاوب؟

□ ما اود شرحه، هو ان ما قمنا به كان من خلال خطة استجابة عاجلة ومرنة، اعتمدت على توزيع الجرحى والمصابين على عدد من المستشفيات داخل العاصمة وخارجها، بهدف منع انهيار اي جسم طبي في ظل هذا العبء الكبير. كما تم نقل البعض الى مناطق اخرى عندما تطلبت حالاتهم ذلك، وذلك لضمان حصول الجميع على الرعاية المناسبة في الوقت الملائم.

■ كيف يتم التعاون بينكم وبين وزارة الصحة؟

□ اننا نعتمد على شبكة مترابطة موزعة جغرافيا، علما ان التنسيق بيننا وطيد مما يسمح بتأمين تغطية شاملة. اما من حيث الاستعداد، فنحن حاليا نستطيع البقاء من 3 الى 4 اشهر في حال بقيت الظروف على ما هي عليه، مع تأمين الحد الادنى من المستلزمات الاساسية. في هذا السياق، نتكاتف بشكل ملحوظ على الرغم من الصعوبات التي تواجهنا، بما يضمن تقديم الخدمات قدر الامكان، بهدف التعامل بكفاءة مع حالات الاسعاف في جميع المناطق.